# التعليم العربى من منظور ثقافة الاستدامة

«إن مستقبل الثقافة الإنسانية سباق بين التعليم والكارثة»

«ت. هـ. ويلز»

«إن التنمية هى العلم عندما يصبح ثقافة»

«رونى ماهو»

## ١. مدخل:

١ : ١ قد يكون من المتعذر ، نسبيًا فهم المغازى الحقيقية الكامنة وراء العولمة ، ومن ناحية أخرى قد تفلح العولمة فى وجهها الاقتصادى ، المحابى لثقافة السوق وقيمة المؤسسة على أخلاقيات «الداروينية الاجتماعية» إن عدلت ، ولكن لا يمكننا إطلاقًا أن نتجاهل ، كبشر لنا خصوصيتنا وهويتنا الثقافية المتميزة ، الأبعاد السلبية والخطيرة للوجه الآخر للعولمة وهو الوجه الثقافى أو العقلانى ؛ الذى يسعى إلى تأسيس نظام ثقافى عالمى موحد أساسه العقلانية المعيارية التى تقوم على «التنميط الثقافى الكونى» وقولبة القيم والسلوكيات على نحو غربى من خلال الثقافة الإلكترونية (ثقافة الصور) التى هى بمثابة المرجعية الثقافية الوحيدة .

فهذه العولمة تفرض على المؤسسة التعليمية أن تكون هى الآلية الأساسية لتجذير القيم والسلوكيات التى تحملها الثقافة الجديدة (الغربية بالطبع) والتى تسعى إلى تكريسها لدى شباب المجتمعات غير الغربية (انظر : زاهر ، قمبر ، ٢٠٠٢ ، ٢٥ ، - ٢٧) ، ومن هنا تتضح أهمية التصدى لمخاطر «عولمة الثقافة» بالنسبة لنا ، ولمؤسساتنا التعليمية على السواء ، الأمر الذى يقتضى منا التمحيص والتدقيق النقدى لهذه العولمة حتى لا ننساق نحو ثقافة أحادية الأبعاد والمرجعية .

١ : ٢ وفى نفس الوقت لابد أن نتبين وبدقة طبيعة «التنمية» التى نستهدفها ، والتى تشكل خيارنا الاستراتيجى العربى الأول ، وأن نحدد موقع التعليم منها ، ونبحث فى آليات تفعيل هذا التعليم من منظور تنموى متطور ومستدام .

فتنمية التعليم - أو قل «التنمية التربوية» هى مشروع وجود لا يتحقق إنجازه إلا من خلال علاقة ديالكتيكية بين التنمية والتعليم . وبديهى أن هذه العلاقة تنمو وسط سياق حضارى مجتمعى معين يؤثر فيها وتؤثر فيه . وإذا كان الأمر كذلك ، فإنه يصبح من مهمة التربويين تفهم الأطر المرجعية للتنمية التربوية وإثرائها ، ولكن المشاهد أن الدور التنموى للتعليم فى هذا الصدد لا يتمتع بالتقدير المحمود من جانب التنمويين والتربويين على حد سواء ، وحوله جدل خفى ، واسع الانتشار ، ليس كله مريحا ، والمنطقى أن تكثر الشكوك والهواجس فى غيبة التفكير النقدى والاختيار الأمبريقى لهذه العلاقة ، وأن يعتريها الغموض على الرغم من كونها واضحة .

**١ : ٣** وعليه فإن أى مناقشة لدور التعليم فى التنمية التربوية لا يمكن أن تكون مجدية دون أن نؤكد على **قومية القضية** ، وبأن التعليم هو **المدخل الحقيقى** ، بل **والأوحد** ليس فقط لمواجهة التداعيات السلبية للعولمة ، ولكن لدخول عصر «الإنتاج كثيف المعرفة» وامتلاك رؤية استراتيجية لبناء إنسان عربى جديد قادر على التواصل مع إيجابيات العولمة ، ومناهضة سلبياتها ، والمبادر للمشاركة فى تفعيل خطوات التنمية البشرية المستدامة على أرضه .

وتأسيسا على ما سبق فإن الدراسة الحالية تتطور عبر مناقشة تفصيلية للقضايا التالية:

* نظرية التنمية .
* مؤشرات التنمية .
* ثقافة الاستدامة وتجلياتها التنموية .
* اشتباكات التعليم العربى بالتنمية : السياقات والإشكاليات .
* آفاق تفعيل التعليم العربى فى إطار ثقافة الاستدامة .

## ٢. نظرية التنمية : من تنمية من أجل الناس إلى تنمية بالناس :

**٢ : ١** أن النقاش الدائر حاليا حول التنمية ما هو إلامرحلة أخرى من المراحل التى بدأت فى منتصف الستينيات فى محاولة لتوسيع مجال عملية التنمية حتى ظهر المفهوم الإنسانى القائم على التنمية البشرية المستدامة ، والذى يغطى أغلب الأبعاد المتعددة لعملية التنمية .

وقد انبثق المفهوم الأصلى للتنمية بعد الحرب العالمية الثانية ، حينما اكتشف «العلماء الاجتماعيون» أن بعض المجتمعات الصناعية قد اكتسبت مقدرة على الزيادة المنتظمة السنوية فى إنتاجها القومى الإجمالى بشكل جعلها قادرة على تحسين أوضاع المعيشة لسكانها بطريقة مؤكدة دون تغيير فى البناء الاجتماعى . فتبلور مفهوم التنمية كعملية «نمو اقتصادى بحت» ، «وكحل تقنى» ، يقوم على أساس عمليات اقتصادية تحدث تغييرات هيكلية فى البنية الاقتصادية للمجتمع وفى أساليب الإنتاج المستخدمة ، وكذا توزيع عناصر الإنتاج بين القطاعات الاقتصادية المختلفة . ووفقا لهذا التصور ، تصبح عوامل تخلف أى مجتمع وركوده الاقتصادى إنما تكمن داخله وليست خارجة عنه ، ويصبح بالتالى مفتاح تنمية أى مجتمع فى أيدى الأفراد المتعلمين والمدربين ، وبذا يكون التعليم هدفاً أساسيًا لتحقيق هذه التنمية.

**٢ : ٢** وقد لفت هذا الانتباه إلى منظومة التربية (التى توحدت مع التعليم النظامى) باعتباره أداة لإحداث تلك التنمية بأسرع ما يمكن . وصار تنمية التعليم